

التفسير المختصر - سورة الطور (٥٢) - الدرس (٢-٢) : تفسير الآيات ٤٨-٤٩ ، الصبر
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٥-١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:
أيها الإخوة الكرام:

الآية الثامنة والأربعون والتاسعة والأربعون من سورة الطور وهي قوله تعالى:

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ
النُّجُومِ (٤٩)﴾

أولاً: الصبر علم

أضرب لكم هذا المثل...

لو أن طفلاً صغيراً أخذ إلى طبيب أسنان، يصيح، ويتحرك حركه عشوائية، ويرفض، لأنه يجهل هذا
الذي سيكون لصالحه.

أما الراشد، قد يتألم، قد يشعر بالألم شديد، قد يكون قلبه لا يحتمل المخدر، فيقلعه ضرره من دون
مخدر، والألم لا يطاق، ومع ذلك يصبر، لماذا يصبر؟ لأنه يعلم أن هذا العمل لصالحه، لأن الله
عز وجل يقول:

﴿ ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم ﴾

(سورة النساء: ١٤٧)

فالصبر في القرآن دليل معرفة الله عز وجل، الذي يعرف الله يصبر، والذي لا يعرفه لا يصبر.
شئ هذا الطفل الصغير، الذي يبكي ويصيح وقد يسب الطبيب، والطبيب يريد أن يريحه من ألم
طويل.

أما الراشد يتحمل ألماً مؤقتاً ليستريح راحةً طويلة.

إذا... هناك من يصبر لا لحكم الله، يصبر لقوي، يضطهده.

هناك من يصبر خوفاً على مركزه.

هناك من يصبر خوفاً على ماله الذي جمعه من حرام.

هذه أنواع الصبر التي لا علاقة لها بهذه الآية.

الآية الكريمة

﴿ ولربك فاصبر ﴾

الصبر المحمود أن تصبر لله، أن تكون قادراً على إنزال أشد العقاب بخصمك، لكنك كظمت
غيظك وصبرت لله.

الصبر الذي يرفع من قيمة الإنسان، هو الصبر الذي يكون باعثه إرضاء الله عز وجل، هذا صبر الأقوياء.

قد تكون قوياً وبإمكانك أن تسحق خصمك، ولكنك تغفو عنه الله، هذا هو الصبر الذي ذكره الله في هذه الآية

﴿ واصبر لحكم ربك ﴾

شياً آخر الله عز وجل، له أمر تكليفي، وله أمر تكويني.

الأمر التكليفي افعل ولا تفعل، وفي أغلب الأحوال افعل يتناقض مع الطبع غض البصر، والطبع يدعوك إلى أن تطلق البصر، أنفق المال والطبع يأمرك أن تأخذ المال، لا تتفقه. فالأمر والنهي، يتناقضان مع الطبع يتوافقان مع الفطرة، والأمر والنهي يتناقضان مع الطبع يتوافقان مع الفطرة.

فهناك صبرٌ على أمر الله التكليفي، وهناك صبرٌ على أمر الله التكويني جعل هذا الإنسان عقيماً لا يلد، جعل هذا الإنسان ذات دخلٍ محدود، جعل هذا الإنسان ذات قامة معينة، فيها مرض وراثي، هذا أمر تكويني.

فأنت ينبغي أن تصبر على أمر الله التكليفي، وعلى أمره التكويني. يعني يجب أن تصبر عن الشهوات المحرمة وعلى الطاعات وعلى قضاء الله وقدره. ثلاثة أنواع، أن تصبر عن الشهوة المحرمة، وأن تصبر على الطاعة المتعبة، وأن تصبر لحكم الله التكويني.

فالننتيجة الإيمان هو الصبر، بشكل أو بآخر.

ذكرت البارحة أن الله سبحانه وتعالى: حينما أثنى على النبي عليه الصلاة والسلام، أثنى على خلقه العظيم.

السؤال...

ألم يكن النبي أبرع خطيبٍ في الأرض؟ نعم خطيب من الدرجة الأولى ألم يكن النبي عليه الصلاة والسلام قاضياً عدلاً؟ نعم كان قاضياً عدلاً من أرفع أنواع القضاة.

ألم يكن النبي مجتهداً؟

ألم يكن النبي رياً لأسرةٍ ناجحاً؟ زوجاً مثالياً؟ أحمأ صديقاً؟

كل هذه الصفات التي اتصف بها النبي، أهملها القرآن الكريم وأبرز خلقه العظيم.

السبب...

أحياناً التفوق يكون بسبب ملاكات أودعها الله في الإنسان، قد يعطيه ذكائاً، قد يعطيه طلاقة لسان، قد يعطيه قوة في المحاكمة، فالتفوق لقدرةٍ أودعها الله فيك، لا

ترقى بك عند الله، التفوق في قدرةٍ أودعها الله فيك، لا ترقى بها إلى الله عز وجل.

أما الصبر الذي هو أساس الأخلاق، الإنسان يمتلئ غيظاً فيصبر فيكظم غيظه، كظم الغيظ

صَبْرٌ، إنفاق المال صَبْرٌ أداء الصلوات صَبْرٌ، صيام رمضان صَبْرٌ، الحج صَبْرٌ، إنفاق المال صَبْرٌ، أداء الزكاة صبر، ضبط اللسان صَبْرٌ.
يكاد الصبر أن يكون الدين كله، الصبر يعني أودعت فيك شهوات، وضبطها، من أجل قوة أكبر، هي الله عز وجل.

فالذي يرقى بك عند الله هو الصبر، الذي هو ثمن الخلق.
لذلك الله جل جلاله، حينما أتى على النبي، قال:

﴿ **وإنك على خلق عظيم** ﴾

ومن زاد عليك في الخلق زاد عليك بالإيمان، والإيمان حسن الخلق،

﴿ **واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا** ﴾

هذه الآية موجهة للنبي عليه الصلاة والسلام، إنه بعين الله، بعين رعاية الله، بعين حراسة الله، بعين حفظ الله، بعين تأييد الله.

﴿ **فإنك بأعيننا** ﴾

عين الحفظ، وعين التأييد، وعين النصر، وعين التوفيق وعين التقريب، وعين الإسعاد.

﴿ **فإنك بأعيننا** ﴾

قال العلماء: كل مؤمن من المؤمنين الصادقين له من هذه الآية نصيب، على قدر إيمانه، وعلى قدر إخلاصه، وعلى قدر شوقه

﴿ **واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم** ﴾

يعني، كن مسبحاً لله، والتسبيح كما تعلمون، التنزيه، والتمجيد والخضوع، التنزيه، والتمجيد، والخضوع.

أما أن تقول، سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله، بقلبٍ شاردٍ ولسانٍ غافلٍ هذا ليس تسبيحاً، التسبيح أن تنزهه عن كل ما لا يليق به وأن تمجده، وتجول في كمالته، وأن تخضع له في النهاية.

﴿ **واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم** ﴾

بعد أن تدبر، يعني صلاة الفجر.

أيها الأخوة الكرام:

أساس هذا الدين الصلاة، ومن ترك الصلاة فقد هدم الدين، والخشوع في الصلاة من فرائضها، لا من فضائلها. لقوله تعالى:

﴿ **قد أفلح المؤمنون، الذين هم في صلاتهم خاشعون** ﴾

(سورة المؤمنون: ٢٠١)

فإذا الإنسان قلد النبي عليه الصلاة والسلام وأتبع أثره، وأتبع سنته، له من هذه الآية نصيب، فإنك بأعيننا، يعني أنت بعين الله ترعاك، عين الله ترعاك، وعين الله تحفظك، وعين الله تحرسك، وعين الله تأيدك، وعين الله توفقك، وعين الله تقربك.

﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم﴾

يعني كلما أردت أن تقوم لعمل، سبح بحمد الله، لماذا؟ من أجل أن يأتي هذا العمل متوافقاً مع منهج الله، قلت يا الله أنا ذاهب لسوق سبح بحمد ربك، نزهه، ومجده، واخضع له، لا تعقد صفقةً بيمين كاذبة لا تشتري حاجةً لا تنفع المسلمين، لا تبخس من قيمة البضاعة مثلاً إن أطيّب الكسب كسب التجار، الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا ائتمنوا لم يخونوا، وإذا كان لهم لم يعثروا، وإذا كان عليهم لم يمتلوا، وإذا باعوا لم يظروا، وإذا اشتروا لم يذموا.

﴿سبح بحمد ربك حين تقوم﴾

قمت إلى إلقاء درس، قمت إلى عيادتك قمت إلى مكتبك التجاري، قمت إلى مكتب المحامي، قمت إلى أرضك لتزرعها، في ناس بيحطوا هرمونات هذه مسرطنة، تعطي إنتاج غزير، وحجم كبير، وسعر عالي، بس على حساب صحة المسلمين.

سبح بحمد ربك حين تقوم، فكر في عظمة الله، فكر في منهج الله فكر في لقائك مع الله، فكر في اليوم الآخر.

﴿سبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل﴾

الليل له نشاط، والنهار له نشاط في النهار عمل، وتجارة، ووظيفة، وكسب مال، في الليل في سهرات في اختلاط في السهرات؟ في ملهيات؟ في أفلام؟ في صحون؟

﴿ومن الليل سبحه وإدبار النجوم﴾

يعني كن مع الله نهاراً وليلاً طبق منهج الله نهاراً وليلاً، حاول أن تنزه عمك عن كل معصية نهاراً وليلاً.

أيها الأخوة الكرام قال تعالى

﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾

الصبر لحكم الله، لا الصبر للقوي، ولا خوفاً على سمعة، ولا خوفاً على مال.

﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم﴾

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا اتهمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين